

الأنساق الثقافية وتشكل المعنى في روايات رشيد ميموني : دراسة في التمثيل الفني والخطاب الرمزي

Cultural Patterns and the Formation of Meaning in Rachid Mimouni's Novels: A Study in Artistic Representation and Symbolic Discourse

نادية خميس

هدى بردي *

مخبر المتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة من مخبر المتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة

من جهة و حضارتي الكتابة و الصورة من جهة

جهة أخرى

أخرى

جامعة باتنة 1

جامعة باتنة 1

nadia.khemis@univ-batna.dz

houda.bardi@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2026-01-17

تاريخ الإرسال: 2025-11-30

ملخص:

تمثل الرواية عند رشيد ميموني أكثر من مجرد أداة روائية أو متعة فنية، بل تتحول إلى مرآة نقدية تعكس واقع المجتمع، وتغوص في الهياكل العميقة التي توجه سلوك الأفراد وتتحكم في أنماط التفكير. فهو لا يروي لمجرد الحديث، بل يستخدم السرد لتفكيك آليات الهيمنة الرمزية والثقافية، وكشف الأنماط التي تتحكم في تشكيل الوعي الجماعي. في هذا السياق، يعد النمط الثقافي مفهوماً مركزياً في قراءة أعماله، إذ يشير إلى ذلك النظام غير المرئي من القيم والمعتقدات والرموز التي تتسلل إلى النص من خلال الشخصيات، اللغة، والمواقف، لتعيد إنتاج السلطة والمعايير الاجتماعية بشكل غير مباشر. وقد عالج هذا البحث حضور النمط الثقافي في ثلاث روايات بارزة لميموني: "شرف القبيلة" التي تظهر كيف يستخدم مفهوم الشرف لترسيخ السلطة الذكورية داخل البنية القبلية، و"النهر المتحول" التي تكشف تسييس الدين وأثره في إعادة تشكيل الهوية في ظل تحولات اجتماعية متسارعة، و"طومبيزا" التي ترصد آليات القمع السياسي وتجسيد الاستبداد داخل مؤسسات الدولة وخطابها. ومن خلال هذه النماذج، يتضح أن الرواية عند ميموني تمارس فعل مقاومة، تسائل الخطاب السائد، وتعري الأنماط الخفية التي تكرر الظلم والتفاوت داخل المجتمع.

* - المؤلف المراسل.

الكلمات المفتاحية: أنساق ثقافية؛ رشيد ميموني؛ سلطة رمزية؛ تمثيل فني؛ تحليل ثقافي للسرد.

Abstract:

Rachid Mimouni's fictional works transcend mere storytelling, functioning rather as a critical lens through which social structures and symbolic domination are laid bare. Central to his oeuvre is the concept of cultural codes—an imperceptible network of values, beliefs, and symbols Text subtly shapes meaning and buttresses power dynamics within the text. This analysis explores how such cultural codes emerge in three seminal novels: Honor of the Tribe reveals how notions of honor are weaponized to enforce patriarchal rule; The Transforming River unmasks the politicization of faith and ensuing crises of self; Tombéza portrays authoritarian control through institutional might and official rhetoric. Together, these texts demonstrate how Mimouni's fiction challenges dominant narratives and unmasks clandestine systems of cultural coercion, serving as an act of defiance.

Keywords: Cultural Codes; Rachid Mimouni; Symbolic Power; The Novel as Resistance; Cultural Narrative Analysis.

مقدمة:

يُعدّ الخطاب الروائي فضاءً خصباً لاشتباك الفني بالثقافي، حيث يتكثف فيه حضور الأنساق الثقافية بوصفها البنى الذهنية العميقة التي تُنظّم علاقات السلطة والمعرفة في أي مجتمع. وفي هذا السياق، تكتسب أعمال الروائي رشيد ميموني أهمية نقدية قصوى؛ إذ تتجاوز نصوصه حدود المتعة الأدبية لتصبح عدسة تحليلية تُفكّك آليات الهيمنة الرمزية الكامنة في اللاوعي الجمعي. يتمحور هذا البحث حول استقصاء النسق الثقافي، المتمثل في شبكة القيم والمعايير غير المعلنة، ودوره في تشكيل التمثيلات السردية والأيديولوجية في روايات ميموني.

وعليه، تُطرح إشكالية البحث الرئيسية التي تسعى هذه الدراسة للإجابة عليها: كيف يشتغل مفهوم "النسق الثقافي" كآلية مضمرة للهيمنة والسلطة في نصوص رشيد ميموني الروائية، وما هي الاستراتيجيات السردية التي يوظفها الكاتب لتفكيك هذه الأنساق وتعريضها، مُحوّلاً الرواية إلى فعل مقاومة ثقافية؟

إن الرواية عند ميموني تمارس وظيفة إبستمولوجية، حيث تُحوّل السرد إلى أداة لـ "الحفر الأركيولوجي" (وفقاً لمفهوم فوكو) للكشف عن كيفية إنتاج الخطاب المهيمن. ومن هنا، يهدف هذا المقال إلى تحليل كيفية توظيف ميموني للبنية السردية بوصفها "فعلاً اجتماعياً

رمزياً" (حسب جيمسون) يواجه الأنساق المضمرة، من خلال ثلاثة نماذج رئيسية: تحليل النسق الذكوري التقليدي في "شرف القبيلة"، وتفكيك تسييس المُقدّس في "النهر المتحول"، وكشف البنية القمعية في "طومبيزا". هذا التحليل يسعى ليُثبت أن أدبه يمثل مقاومة سردية واعية تسعى لتحرير المعنى وكشف حقيقة التفاوت والظلم المستتر تحت غطاء الثقافة. وتتبع آليات اشتغال الرواية كأداة للمقاومة الثقافية عند ميموني، تستلزم أولاً تأصيلاً نظرياً ومعرفياً للمفهوم المركزي الذي يقوم عليه هذا البحث.

المبحث الأول: مفهوم النسق الثقافي وخصائصه العامة في الخطاب الروائي.

يُعد النظام الثقافي من أهم المفاهيم في الدراسات النقدية الحالية، بسبب قدرته على كشف البنى العميقة والتمثيلات الرمزية التي تحكم الخطابات الأدبية، ولا سيما الرواية. فالخطاب الروائي ليس مجرد سرد للأحداث والشخصيات، بل هو مرآة تعكس أنظمة ثقافية ضمنية، تُبنى من خلال التفاعل مع المرجعيات الاجتماعية والتاريخية والسياسية. إن فهم هذه الأنظمة يتيح للنقد الأدبي تجاوز المعاني الظاهرة إلى البنى الذهنية والثقافية التي تتحكم في الإنتاج الأدبي واستقباله. ويتضح دور النظام الثقافي في اكتشاف التوترات بين القيم السائدة والتمثيلات النصية، وبين البنى التقليدية ومحاولات التجديد والتحديث. ومن هنا، تتبدى أهمية هذا المبحث في تفكيك مفهوم النظام الثقافي وتتبع خصائصه بوصفه أداة نقدية تستبطن الأبعاد الإيديولوجية والاجتماعية للنصوص الروائية. ويسعى هذا المبحث إلى التأسيس المفاهيمي للنظام الثقافي من خلال استجلاء معناه اللغوي والاصطلاحي، وموقعه في النقد الحديث، مع رصد أهم الآراء النقدية التي تناولت هذا المفهوم.

المطلب الأول: تعريف النسق الثقافي في النقد الأدبي.

يستدعي فهم النسق الثقافي في الرواية العودة أولاً إلى تحديد مفهوم "النسق" في اللغة، بوصفه مدخلاً أساسياً لفهم تحولات هذا المفهوم داخل الحقل الثقافي والنقدي. إن مفهوم النسق لم يكن دائماً مصطلحاً نقدياً، بل تطور عبر مسارات معرفية متعددة، واكتسب معان جديدة في ضوء الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية واللغوية. ويُعد إدراك هذه الأبعاد مفيداً لفهم كيفية انتقال المفهوم من الحقول العلمية إلى المجال الأدبي، حيث أصبح أداة لقراءة الخطابات وتفكيكها. لذا، يسعى هذا المطلب إلى عرض مختلف التعريفات اللغوية

والاصطلاحية لمفهوم النسق، ثم التوقف عند استخدامه في الخطاب النقدي الحديث، قبل التطرق إلى آراء أبرز المفكرين الذين أسهموا في بلورة معناه النقدي والثقافي.

الفرع الاول: تعريف النسق في اللغة والاصطلاح

يُعد مفهوم "النسق" من المفاهيم المتعددة الدلالات التي شغلت حيزاً هاماً في عدد من الحقول المعرفية، سواء في الفلسفة أو علم الاجتماع أو اللسانيات، قبل أن يستقر كطريق من طرق التحليل في النقد الأدبي والثقافي. وتتبع الأصل اللغوي والاصطلاحي لهذا المفهوم يُعد خطوة ضرورية لتفكيك معناه وتحديد أبعاده، خصوصاً أن عددًا كبيراً من الدراسات النقدية المعاصرة تنطلق منه لقراءة المضمرات الأيديولوجية في النصوص. فالنسق لا يُفهم فقط كمنظومة من العلاقات أو البنى، بل كطريقة منظمة لفهم العالم وإعادة إنتاجه داخل الخطاب. لذا، يُفترض في هذا الفرع أن نتناول التعريفات اللغوية أولاً، ثم التطورات الاصطلاحية التي عرفها المفهوم في السياقات المختلفة.

اولا/ تعريف النسق في اللغة:

في اللغة العربية، يُشتق "النسق" من الجذر الثلاثي "ن س ق"، ويعني الترتيب أو التنسيق بين الأشياء بطريقة منتظمة، كما في قولهم "نسق الكلام" أي رتبه بانسجام، و"نسق الجواهر" أي رتبها في سلك واحد. ويشير المعنى المعجمي إلى التوالي والتسلسل والتناغم، بحيث تكون العناصر المرتبة مترابطة من حيث الشكل أو الوظيفة. وقد ورد في "لسان العرب" أن النسق هو "ضم الشيء إلى الشيء على جهة الترتيب"، مما يدل على الطابع المنظم والهيكل للمفهوم¹.

ثانيا/ النسق في الاصطلاح العام والفكري:

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد عرف مفهوم النسق تطورات لافتة في مختلف التخصصات. ففي الفلسفة، يدل على نسق من الأفكار المترابطة التي تشكل رؤية للعالم، كما في نسق ديكرت العقلاني أو نسق هيغل الجدلي. وفي علم الاجتماع، يُشير النسق إلى منظومة من القيم والعلاقات التي تنظم سلوك الأفراد داخل المجتمع، كما في نسق "بارسونز" الذي يصف المجتمع ككيان منظم ومتربط. أما في اللسانيات، فيتجلى النسق في العلاقات التبادلية بين

¹ برجوح ثورية، "ترحلات النسق ولبوساته: اللغوية، الأدبية، الثقافية". مجلة علوم اللغة العربية

الوحدات اللغوية، كما شرحها سوسير في تمييزه بين "النسقي" و"التركيبي". هذه الخلفية الاصطلاحية الواسعة أسهمت في تغذية الحقل النقدي لاحقاً، حيث تم توظيف النسق كأداة لتحليل الخطاب واستكشاف ما يضمه من قيم وتصورات.²

ثالثاً/ أهمية هذا التأسيس في التحليل النقدي:

تُعد العودة إلى الجذر اللغوي والاصطلاحي لمفهوم التنظيم خطوة ضرورية لفهم دقيق وكامل لطريقة عمله في الخطاب النقدي والأدبي، إذ لا يمكن التعامل معه كأداة تحليلية منفصلة أو مستوردة بطريقة عشوائية. إن كل مصطلح نقدي، قبل أن يُدرج في الممارسة التطبيقية، يحتاج إلى تأصيل نظري ومعرفي يُحدد أبعاده اللغوية وتطورات الاصطلاحية عبر التخصصات.³ فالمفهوم لم يولد من فراغ، بل تشكل عبر مسار معرفي طويل انطلق من جذوره اللغوية الدالة على "التنظيم والترتيب"، ثم تطور داخل الحقول الفلسفية والإنسانية واللسانية ليُصبح في النهاية أداة مركزية لفهم الديناميكيات الخطابية والثقافية في النص الأدبي، فهذا التأسيس يفتح المجال لفهم كيف يُعاد إنتاج الأنساق المهيمنة داخل النصوص، دون وعي بالضرورة، أو كيف قد يسعى النص إلى تقويضها. وهذا يعني أن النص لا يُقرأ فقط على أنه "يقول شيئاً"، بل على أنه "يقول ما يقول بطريقة ما"، وهذه الطريقة هي ما يسكنه التنظيم، بما يحمله من خلفيات ثقافية ومحمولات رمزية. ومن هنا، تتبدى أهمية الوعي بالأسس المفهومية لمصطلح التنظيم في التحليل الأدبي، لأنه يُعين القارئ على الانتقال من الظاهر إلى الباطن، من البنية إلى السلطة، ومن اللغة إلى الإيديولوجيا.⁴

الفرع الثاني: مفهوم النسق الثقافي في النقد الأدبي الحديث

عندما تحولت الأطر المعرفية المعاصرة للحقول النقدية، لم يعد ينظر إلى النص الأدبي كهيكل مغلق أو شكل جمالي خالص، ولكنه أصبح فضاء يتفاعل فيه قوى ثقافية وتصارع فيه أنساق

2 عبد الله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 35.

3 عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص 82.

4 ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986، ص 22.

رمزية تتعلق بالهوية والسلطة والجندر والدين والتاريخ. وقد كان مفهوم "النسق الثقافي" واحداً من أبرز المفاهيم التي فرضت نفسها ضمن هذا الإطار، بسبب قدرته على اختراق سطح النص والولوج إلى بنيته العميقة.

أولاً/ النقد الأدبي وتحولاته نحو الثقافة:

عرف النقد الأدبي منذ منتصف القرن العشرين تحولات عميقة في مناهجه ومرجعياته؛ إذ انتقل من التركيز على البنية الجمالية الداخلية للنص – كما رأينا في البنيوية والشكلانية – إلى الاهتمام المتزايد بالسياقات الثقافية والاجتماعية التي تُنتج النص وتُحدد آليات تلقيه. وقد جاءت هذه النقلة بفضل تصاعد تيارات مثل ما بعد البنيوية، وما بعد الاستعمار، والنقد الثقافي، ودراسات النوع، وغيرها من الحقول التي دفعت بالممارسة النقدية إلى تجاوز "جمالية النص" نحو دراسة علاقاته بالسلطة، والهوية، والإيديولوجيا، وأدى هذا التحول إلى بروز النص الأدبي بوصفه خطاباً ثقافياً لا يخلو من التحيزات أو الأنساق المضمرّة التي تشكّله. فالرواية لم تعد تُقرأ فقط كفن أدبي، بل كمجال لإنتاج التمثيلات الثقافية، وكوثيقة تحمل بصمة الثقافة التي أفرزتها. وأصبح الناقد مطالباً ليس فقط بفهم "ما يقوله النص"، بل "لماذا يقوله؟ وكيف يقوله؟ ولمن؟" وهذه الأسئلة هي ما يجب عليه مفهوم "النسق الثقافي" تحديداً⁵.
ثانياً/ تعريف النسق الثقافي اصطلاحاً:

يعرف النسق الثقافي اصطلاحاً بأنه "نظام من الرموز والمفاهيم، يكونها المجتمع وتعيد انتاجها داخل النصوص والخطابات". إنه الهيكل غير المرئي الذي يسيطر على آليات التفكير، ويوجه طريقة تمثيل الشخصيات والأحداث والقيم، داخل النص الأدبي. فهو لا يختزل في مضمون ظاهر، بل يتسلل إلى كل مستويات النص: من اللغة إلى الأسلوب، ومن الرؤية السردية إلى بنية الشخصيات⁶.

وللنسق الثقافي طابع مؤسسي خفي، حيث يرسخ ما هو مقبول ومألوف، ويقصي أو يهشم ما هو مختلف أو معارض. ولذلك، فإن اكتشافه يتطلب قراءة نقدية تفكيكية، تزيل طبقات النص وتحفر في خلفياته. ومن أهم ما يميز النسق الثقافي، أنه ليس دائماً واضحاً للكاتب

5 ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، ترجمة: حسن قبيسي، دار المدى، دمشق،

1994، ص 45.

6 ميشيل فوكو، المرجع السابق، ص 45.

نفسه، فقد يعيد الكاتب إنتاج أنساق سائدة عن دون وعي، مستبطنًا ثقافته المحلية أو مجتمعه الذكوري أو طبقته الاجتماعية أو انحيازاته الدينية.

ثالثًا/ أهمية النسق الثقافي في تحليل الرواية:

تلعب الرواية دورًا بالغ الأهمية في تمثيل الأنساق الثقافية، سواء عبر دعمها أو عبر السخرية منها وتفكيكها. ومن خلال تحليل النسق الثقافي داخل الرواية، يستطيع الناقد أن يكشف عن الطريقة التي يعيد بها النص إنتاج قيم المجتمع أو مواجهتها. فقد يتظهر النسق في الصور النمطية، أو في التمثيل الأحادي للجندر، أو في تهميش أصوات الهامش (الفقراء، النساء، الأقليات...)..⁷

ويمكننا هذا التحليل من فهم الرواية بوصفها خطابًا سياسيًا وثقافيًا في الوقت نفسه، يتفاعل مع الواقع لا بوصفه نسخة عنه، بل بوصفه إعادة تشكيل رمزية له. وهكذا، يتضح أن مفهوم النسق الثقافي لا يعنى فقط بالتشخيص أو الوصف، بل يفتح أفقًا نقديًا لفهم علاقات الهيمنة والتفاوت داخل الخطاب الروائي، مما يجعله أداة مركزية في التحليل الأدبي المعاصر⁸.

المطلب الثاني: الخصائص العامة للأنساق الثقافية.

تتميز الأنساق الثقافية بتركيبها المعقدة التي تجعلها كيانات فاعلة في بناء الخطاب، ليس كخلفيات هامشية أو سياقات محيطة بالنص فحسب. فالنسق الثقافي لا يتم التعامل معه في النصوص الأدبية بشكل مباشر، بل يتسلل عبر البنية الداخلية من خلال رموز ومواقف وصيغ لغوية وتمثيلات رمزية تنبع من الوعي الجمعي وتمتد نحو اللاوعي لدى الكاتب والمتلقي معًا. وتكمن خصوصية الأنساق في كونها حركية ومتغيرة، لكنها في الوقت نفسه تعمل على ترسيخ نماذج ثابتة من التفكير، ما يجعلها قادرة على أداء وظائفها في السيطرة والهيمنة دون أن تثير الانتباه. ولهذا، فإن تحليل الخصائص العامة لهذه الأنساق يعتبر مدخلًا حاسمًا لفهم آليات اشتغالها داخل النصوص، وكشف دورها في تشكيل المعنى، وفي توجيه المتخيل

7 ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص 93.

8 فريدريك جيمسون، اللاوعي السياسي: السرد بوصفه فعلًا اجتماعيًا رمزيًا، ترجمة: محمد عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999، ص 33.

الاجتماعي. وفي هذا المطلب، سنتناول ثلاث خصائص جوهرية من شأنها أن توضح طبيعة النسق الثقافي وتعمق فهمنا له: أولاً كمنظومة قيمية، وثانياً كخطاب يعمل في مستويين ظاهر ومضمّر، وثالثاً من حيث صلته بالبنية الجمالية والإيديولوجية للنص.

الفرع الأول: النسق كمنظومة قيمية توجه الخطاب

يمثل النسق الثقافي في جوهره شبكة من القيم والمعايير التي تحدد ما يقال وما يمنع قوله وما يفكر فيه وما يقصى من مجال التفكير، وهو بذلك لا يعد مجرد محتوى إيديولوجي ظاهري، بل يمارس سلطته من خلال تشكيل الرؤية العامة للعالم داخل النصوص. يعمل النسق بوصفه نظاماً تأويلياً ضمنياً يجعل بعض التمثيلات مفهومة ومقبولة، في حين يجعل أخرى تبدو غريبة أو غير شرعية أو مستحيلة التخيل.

أولاً/ تأثير التشكيل على العرض داخل النص:

يلعب الهيكل الثقافي دوراً فاعلاً في تحديد ما يمكن التعبير عنه أو قوله في النص، وما يجب إخفاؤه أو تهميشه أو تشويبه. إن المعتقدات المتأصلة في المجتمع مثل وجهات النظر حول الجنس أو الطبقة أو السلطة تُنتج من جديد من خلال عملية العرض الأدبي. فالخطاب لا يُنقل بحياد، بل يُشفر ضمن إطار تأويلي يشكّله هذا الهيكل الثقافي. وبذلك يخضع النص الأدبي - وإن كان جزئياً - لتوجهات التشكيل، حتى في الحالات التي يدّعي فيها التمرد أو الحياد⁹ ثانياً/ مظاهر السلطة الرمزية في الخطاب الأدبي:

لا تحتاج السلطة الثقافية للتدخل المباشر أو القمع الظاهر، لأنها تعمل من خلال اللغة والعرض بوصفها آليات لترسيخ القيم. عندما تظهر المرأة في النص كأمراة تقليدية أو عندما يُقدّم الفقير كعاجز، يعيد النص إنتاج المفاهيم الجماعية السائدة. هذه السلطة الرمزية لا تفرض القهر وإنما "الطبيعة"، إذ تُعرض القيم كأمر ثابتة لا تحتمل التساؤل. وهنا تتضح خطورة التشكيل بوصفه لا يكتفي بتحديد ما يُقال، بل يُضفي عليه الشرعية والجازبية أيضاً¹⁰.

الفرع الثاني: النسق الظاهر والنسق المضمّر.

9 تيري إيجلتون، النظرية الأدبية: مقدمة، ترجمة: سعيد قادرباي، المركز الثقافي العربي، بيروت،

1996، ص.32

10 تيري إيجلتون، المرجع نفسه، ص 33.

يختلف النسق الثقافي عن النصوص الأدبية من خلال مستويين متفاعلين: أحدهما ظاهر يُعلن عن نفسه بوضوح عبر اللغة والصور والحديث المباشر، والآخر مضمّر يُمارس بشكل خفي من دون تصريح. هذا التمييز بين الظاهر والمضمّر لا يعني قطع الصلة بينهما، بل يُشير إلى ديناميكية داخلية تعمل على تثبيت المعنى وتوجيه الاستقبال.

أولاً/النسق الظاهر كخطاب معلن ومباشر:

النسق الظاهر هو ما يمكن أن نرصده مباشرة في سطح النص، كالشعارات والأحكام الجاهزة، أو التمثيلات المباشرة التي تعكس مواقف أيديولوجية أو قيمًا ثقافية شائعة. يظهر النسق الظاهر في اللغة المستعملة، في وصف الشخصيات، أو في سرديات تقليدية تكرر الصور النمطية. مثلاً: عندما يُصوّر الحاكم في رواية بصورة "الأب الحنون"، أو المرأة بصورة "الضعيفة التي تحتاج حماية"، فإن هذا النسق يُعبّر عن موقف معلن من قضايا السلطة والجنس. إلا أن خطورة هذا النسق الظاهر تكمن في كونه يُقدّم للقارئ بصفته طبعياً أو "مقبولاً ثقافياً"، مما يجعله غير موضوع مساءلة. وقد يكون هذا الظهور أداة لصرف الانتباه عن أنساق أعمق تعمل في الخفاء.¹¹

ثانياً/النسق المضمّر كقوة خفية تتحكم في المعنى:

النسق المضمّر هو أكثر مستويات الخطاب خطورة وتعقيداً، لأنه لا يُصرّح به ولا يُقدّم للقارئ في شكل مباشر، بل يُفهم عبر ما يُقصى أو يُهمّش أو يُكرّر بلا وعي. هو ما لا يُقال لكنه يُحسّ، وما لا يُكتب لكنه يوجّه الكتابة. يظهر النسق المضمّر مثلاً في تكرار نمط معين من الشخصيات المهزومة، أو في غياب أصوات بديلة، أو في استخدام لغة تُجمل السلطة وتُشيطن المعارضة، دون الإعلان عن هذا الموقف صراحةً. هذا النوع من الأنساق يتطلب مهارة نقدية لكشفه، لأن غيابه عن السطح لا يعني غيابه عن المعنى. بل إنه غالباً ما يُشكّل مركز الثقل الحقيقي للنص، حيث تتم ممارسة الهيمنة الثقافية بهدوء، وبفعالية أكبر من النسق الظاهر.¹²

11 تيري إيجلتون، الأدب والنظرية، ترجمة: سوزان يزبكي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000،

ص. 56

12 تيري إيجلتون، نفس الكتاب، ص 57.

المطلب الثالث: أثر النسق الثقافي في الرواية.

لم تعد الرواية تقرأ فقط كجنس أدبي يعكس مهارات الكاتب، بل تُفهم اليوم، في ضوء المقاربات الثقافية، كفضاء رمزي مزدحم بالأنساق والتصورات التي تُعيد إنتاج المجتمع وتعيد صياغة العلاقات. فالنسق لا يتسلل إلى الرواية من الخارج، بل يتجذر في بنيتها السردية، في طبيعة العلاقات داخل النص. وبذلك، يصبح الكشف عن أثره مهمة تتطلب تجاوز حدود المعنى الظاهر، للكشف عن أنماط التمثيل التي تُعاد صياغتها داخل النص. وفي هذا المطلب، سنسعى إلى تتبع ثلاثة مظاهر رئيسية لحضوره داخل الرواية: أولاً عبر تقنيات السرد، ثانياً عبر بنية الشخصيات، وثالثاً عبر دور المتلقي في التأويل والكشف.

الفرع الأول: كيف يظهر النسق الثقافي في السرد الروائي

السرد هو العمود الفقري لأي رواية، والنافذة التي يدخل منها القارئ إلى عوالمها. لكن هذا السرد ليس عملية حيادية، بل هو محكوم بأنساق ثقافية توجهه وتضبط إيقاعه. فاختيار الراوي، الزاوية، ترتيب الأحداث، وتوزيع الصوت، كلها قرارات سردية تحمل تمثيلات ثقافية مضمرة. وهنا يتجلى أثر النسق: فالسرد، وهو ينقل الحكاية، يمرر أيضاً رؤى ومواقف. ولذلك فإن تتبع أنماط السرد وتحليل تموضّع السلطة داخله، يفتح باباً لفهم كيف يُستثمر السرد بوصفه حاملاً للنسق داخل النص الروائي.

أولاً/ موقع الراوي بوصفه تمثيلاً للسلطة المعرفية:

اختيار موقع الراوي في الرواية – سواء أكان راوياً عليماً بكل شيء، أم راوياً داخلياً، أم راوياً متشظياً – ليس بشكل اعتباطي، بل يعكس موقفاً ثقافياً ومعرفياً من العالم. فالراوي العليم قد يكرس رؤية سلطوية مطلقة، يهيمن فيها على المعنى ويقصي أصواتاً أخرى، بينما الراوي المحدود أو المتعدد قد يعكس تعددية الأنساق الثقافية، أو يشير إلى تفكك المرجعية. في كلتا الحالتين، تستخدم تقنية الراوي كوسيلة لتمير نسق ما حول الحقيقة والمعرفة والموقف من الآخر.¹³

13 ريموند ويليامز، الكلمات المفتاحية: مفردات الثقافة والمجتمع، ترجمة: بدر الدين قداس، دار

الطليلة، دمشق، 1988، ص.14

ثانيا/ بنية الزمان والمكان كإطار ثقافي للتمثيل:

يعد الزمان والمكان في الرواية أكثر من مجرد إطار للأحداث، إذ يحملان دلالات ثقافية تشير إلى أنساق قيمية ضمنية. فالرواية التي تؤطر الحدث في "الماضي البطولي" قد تعيد إنتاج نسق تمجيدي للتاريخ، بينما الرواية التي تركز على المدن الحديثة أو الهامش قد تسعى إلى تفكيك أنساق الهيمنة أو فضح تمثيلات السلطة. كذلك يستخدم المكان كرمز: القرية مقابل المدينة، الداخل مقابل الخارج، البيت مقابل الشارع، وكلها تحيل إلى أنساق ثقافية تعيد تشكيل الفضاء السردي وفق منظور ثقافي معين.¹⁴

الفرع الثاني: علاقة النسق بالشخصيات والمواقف.

في الرواية، لا تمثل الشخصيات مجرد أدوات لتنشيط الحبكة أو دفع الأحداث، بل تُعتبر كيانات رمزية تُجسد الأنماط الثقافية والاجتماعية التي تتحرك داخل النص. فطريقة تشكيل الشخصية، لغتها، موقعها الطبقي أو الجندري، مصيرها في النهاية، كلها ليست تفاصيل معزولة، بل محمولة برموز ثقافية تشكل خلفية تمثيلية غنية. كذلك فإن المواقف التي توضع فيها هذه الشخصيات، سواء أكانت مواقف صراع، مقاومة، خضوع، أم تمرد، لا تُبنى على أساس عشوائي، بل تندرج ضمن نسق ثقافي يتدخل في إعادة إنتاج علاقات القوة داخل النص. ومن هنا، يصبح تحليل علاقة النسق بالشخصيات مدخلا مهما لفهم كيف تُجسد الرواية التفاوتات الاجتماعية، وكيف تستخدم تمثيل الشخصية بوصفه استراتيجية ثقافية. أولاً/ تمثيل الشخصية كصورة رمزية ثقافية:

الشخصية الروائية ليست مجرد كائن سردي يتحرك في فضاء القصة، بل هي تمثيل رمزي يحمل معاني ثقافية واجتماعية، ويجسد نظاماً معيناً في النظرة إلى الإنسان والوجود. حين ترسم الشخصية بصورة نمطية – كالمرأة المطيعة أو الرجل العنيف أو المثقف المهزوم – فإن هذه الصورة لا تعبر عن تجربة فردية بقدر ما تحيل إلى نظام ثقافي يسعى إلى ترسيخ صور

نمطية قائمة على الجنس أو الطبقة أو العرق. وبالتالي، يصبح تحليل طريقة بناء الشخصية أداة فعالة لكشف الأنظمة المضمرة التي يمررها النص.¹⁵

ثانياً/ ديناميكية المواقف بوصفها إعادة إنتاج للعلاقات الثقافية:

المواقف التي توضع فيها الشخصيات لا تتولد بشكل بريء، بل تخضع لترتيبات سردية تعكس بنى القوة في المجتمع. فحين توضع شخصية في موقع ضعف دائم، أو تجبر على الطاعة، أو تسحق في النهاية، فإن ذلك يكشف عن نظام ثقافي يعيد إنتاج التراتب الاجتماعي ويبرره. بالمقابل، يمكن لمواقف التمرد أو المقاومة أن تعكس وعياً ثقافياً جديداً يحاول خلخلة النظام السائد. تحليل هذه المواقف يظهر كيف تستثمر الشخصيات في بناء خطاب ثقافي حول السلطة والطاعة والتحرر.¹⁶

الفرع الثالث: دور المتلقي في الكشف عن النسق داخل النص.

النسق الثقافي لا يكتمل اشتغاله داخل الرواية إلا بوجود المتلقي الذي يُعيد إنتاج المعنى عبر قراءته وتفسيره. فالقراءة ليست فعلاً سلبياً بل عملية تأويلية نشطة، يتحرك فيها القارئ ضمن شبكة من التوقعات الثقافية، والخبرات الشخصية، والمواقف الإيديولوجية. ومن خلال هذه العدسة، يمكن للمتلقي أن يكشف عما يخفيه النص من أنماط مضمرة، وأن يتجاوز ظاهر الحكي نحو تحليله كخطاب ثقافي. كما أن المتلقي – خصوصاً القارئ النقدي أو الواعي – قادر على فضح تحيزات النص، أو الانحرافات في تمثيل الآخر، أو تواطؤ الجمالية مع السلطة. ومن ثم، فإن دور المتلقي يتجاوز التلقي السلبي ليُصبح شريكاً في إنتاج الوعي النقدي تجاه النسق، وفي خلخلة سلطة المعنى السائد داخل النص الأدبي.

أولاً/ القراءة كفعل تأويلي ثقافي:

القارئ لا يستهلك المعنى فحسب بل يشارك في إنتاجه من خلال خلفيته الثقافية وتجربته الاجتماعية و التموقع الإيديولوجي. فكل قراءة هي قراءة بأنساق خاصة تجعل بعض الدلالات بارزة وأخرى مهمشة. وهنا تكمن أهمية القارئ الواعي الذي يمارس القراءة بوصفها مسألة

15 ريموند ويليامز، الثقافة والمجتمع 1780-1950، ترجمة: سامي الزين، دار الطليعة، دمشق،

1990، ص. 37

16 ريموند ويليامز، نفس الكتاب، ص 38.

للخطاب واختباراً لما يخفيه خلف جمالياته. فهذا المعنى يصبح المتلقي عنصراً فاعلاً في فضح النسق أو تكريسه حسب زاوية قراءته.¹⁷

ثانياً/ حساسية القارئ تجاه الصمت والتمثيل والانحياز:

من أبرز ما يميز المتلقي الناقد هو حساسيته العالية تجاه ما يقال وما يسكت عنه في النص. فهو قادر على التقاط إشارات الإقصاء أو التكرار أو التبسيط المخلل للصور الثقافية سواء في تمثيل المرأة أو المهمشين أو الآخر. هذا النوع من المتلقين لا يكتفي بتفسير الأحداث بل يسعى إلى تفكيك البنية الأيديولوجية التي تنتجها الرواية وكشف ما إذا كانت تعيد إنتاج النسق أو تتجاوزه.¹⁸

المبحث الثاني: تمثيل الأنساق الثقافية في روايات رشيد ميموني النموذجية مع دراسة تطبيقية لكل رواية على حدة وتحليل في وثقافي متكامل

تعد روايات رشيد ميموني من أبرز التجليات السردية التي تفتتح على قراءة ثقافية عميقة، حيث تخزن نصوصه شحنة رمزية كثيفة تعكس تحولات المجتمع الجزائري وتوتراته البنيوية. ولم يكن مجرد روائي يُدَوِّن الوقائع، بل كان كاتباً مثقفاً يشتغل على تمثيل الأنساق الثقافية الكامنة التي تصوغ الوعي الجمعي، وتتحكم في إنتاج المعنى داخل الخطاب الأدبي. وتُظهر أعماله تفاعلاً خصباً بين الشكل الجمالي والمضمون الإيديولوجي، مما يتيح للمقاربة الثقافية أن تنفذ إلى الطبقات المضمرّة في البناء الروائي. وفي هذا المبحث، سنسعى إلى تحليل كيف تتجلى الأنساق الثقافية في عدد من رواياته النموذجية، من خلال الوقوف عند البنية السردية، وتشكيل الشخصيات، وتمثيلات الهوية والسلطة والآخر، مع تتبع حضور النسق الظاهر والمضمر. كما سنُخضع كل رواية لدراسة تطبيقية خاصة، تتضمن تحليلاً فنياً وثقافياً متكاملاً يكشف كيف يوظف ميموني أدواته الأدبية لتفكيك الأنساق المهيمنة، أو إعادة إنتاجها بأساليب رمزية دقيقة.

17 فريدريك جيمسون، اللاوعي السياسي، المرجع السابق، ص 61.

18 فريدريك جيمسون، اللاوعي السياسي، المرجع السابق، ص 64.

المطلب الأول: رواية "شرف القبيلة" وتمثيل نسق الشرف والسلطة الذكورية.

تتناول رواية "شرف القبيلة" بدقة كيف تستغل الهيكلية التقليدية للمجتمع الذكوري، وتبين كيف تتحول مدلولات "الشرف" من قيمة أخلاقية إلى أداة للسيطرة الاجتماعية والتحكم بالأفراد، وخاصة النساء. وتكشف هذه الرواية عن علاقة السلطة الذكورية بالتركيبة القبلية، حيث يُستغل السياق الثقافي لتبرير القمع والإهمال والتمييز. ويوضح رشيد ميموني كيف تُستخدم الرواية الجماعية حول مفهوم "الشرف" للسيطرة على الأجساد والتحكم في المصائر، من خلال خطاب يتخذ غلاف المقدسات الثقافية.

الفرع الأول: تمثيل الشرف كقيمة مهيمنة في البناء السردى

يبنى النص السردى في "شرف القبيلة" على محور مركزي يتمثل في قيمة "الشرف" وهي بنية ثقافية ضاغطة على الشخصيات والأحداث. فالرواية لا تعرض الشرف كقيمة أخلاقية بريئة، بل تكشف كيف يُعاد إنتاجه كأداة رمزية للضبط والسيطرة، عبر الخطاب السردى والبنية الرمزية. ويظهر الشرف في هذا السياق باعتباره معياراً مزدوجاً يُرسي السلطة الذكورية ويُطوِّع الأجساد الأنثوية وفق إملاءات اجتماعية صارمة. من هنا يصبح من الضروري تحليل كيف تُوظف البنية السردية – من الراوي إلى ترتيب الأحداث – لترسيخ هذه القيمة، وأيضاً لفضح آليات اشتغالها.

أولاً/ الشرف كتراث ثقافي:

تُقدِّم قيمة "الشرف" في الرواية بوصفها بنية اجتماعية متأصلة، لا تقتصر على الأفراد بل تشمل القبيلة والمجتمع بأكمله، حيث يُنظر إلى الفرد – خصوصاً المرأة – كامتداد لشرف الجماعة. ويُرصَد كيف يُصاغ هذا النمط عبر جيلٍ بعد آخر، من خلال الحكايات الشفوية، والعقوبات الاجتماعية، والصور المسبقة التي تُعيد ترسيخ المعايير. ويعمل السرد هنا على نقل هذه التصورات بوصفها أمراً واضحاً، وهو ما يجعل الشرف أداة لا تُخضع فقط الجسد الأنثوي بل وحرية التفكير والاختيار.¹⁹

ثانياً/ آليات تثبيت الشرف في البنية السردية:

19 رشيد ميموني، شرف القبيلة، ترجمة روز مخلوف (بيروت: دار الآداب، 1990)، ص. 45.

يستغل رشيد ميموني أدوات السرد لتثبيت هذا النمط، من خلال اختيار راوٍ يعبر غالباً عن الوعي الجماعي أكثر من الفردي، وترتيب الأحداث يُفضي إلى تبرير العقاب الاجتماعي باسم الحفاظ على "الشرف". كما يُلاحظ توظيف بعض الشخصيات بوصفها أدوات لإعادة إنتاج هذا المنظور، كالشيوخ أو الشخصيات الذكورية ذات النفوذ الرمزي. بذلك، تتقاطع بنية السرد مع منظومة القيم القبلية، وتُعاد صياغة التراتبية الاجتماعية على نحو يخدم السلطة الأبوية.²⁰

الفرع الثاني: الشخصية الأنثوية بين التمثيل والتقييد

في قلب تمثيل نسق الشرف، تبرز الشخصيات النسائية باعتبارها ساحة للصراع بين السلطة الثقافية والحق في الذات. فالرواية ترصد كيف تتحول المرأة إلى مرآة تعكس مفهوم الشرف، لا كفاعل بل كموضوع للضبط والمساءلة، بحيث يُربط مصيرها الأخلاقي والاجتماعي بسلوكها الجسدي والرمزي. وفي هذا القسم، سنحلل تمثيلات الشخصية الأنثوية، لغتها، حركتها داخل الفضاء الروائي، وعلاقتها بالمجتمع الذكوري، للكشف عن الأنساق الضمنية التي تُعيد تهميشها، وأيضاً عن لحظات التمرد أو المقاومة الرمزية التي تخلخل هذا النسق.

أولاً/ جسد المرأة كمساحة لتمثيل الشرف:

تمثل الرواية جسد المرأة وكأنه ساحة رمزية تحمل كل دلالات "الفخر" و"الفضيلة"، حيث لا ترى المرأة ككائن مستقل، بل كحاملة لمعنى اجتماعي أكبر منها. وتبين القصة كيف يختزل الكيان الأنثوي في صورة جسدية يجب مراقبتها وتأديبها، بدءاً من الملابس، مروراً بالحركة في الفضاء العام، وانتهاءً بالاختيارات الشخصية التي لا تعد "خاصة"، بل ملكاً للمجتمع. هذا التصور يحول جسد المرأة إلى رمز ثقافي يضبط ويراقب باستمرار.²¹

ثانياً/ تهميش صوت المرأة في الفضاء السردي:

يبرز تقييد المرأة كذلك في تهميش صوتها داخل القصة، حيث يلاحظ أن غالبية الشخصيات النسائية تحرم من التعبير الصريح أو اتخاذ قرارات حاسمة. فالرواية تظهر كيف يصادر حق المرأة في التمثيل الذاتي، ويعيد إنتاجها ضمن أدوار جاهزة: كالأم، أو الزوجة، أو الضحية. كما

20 رشيد ميموني ، نفس المرجع ، ص نفس الصفحة .

21 عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، مرجع سبق ذكره ، ص 56 .

أن اللغة الموجهة لها، أو التي تصفها، تأتي غالباً محملة بالأحكام والرموز الذكورية، مما يعيد فرض سلطة الخطاب الذكوري حتى على مستوى اللغة.²²

الفرع الثالث: النسق القبلي وتكريس السلطة الذكورية.

لا يمكن فهم نسق الشرف في الرواية دون الاستعانة بالنسق القبلي الذي يمثل السياق الاجتماعي والسياسي للخطاب. فالقيم القبلية لا تأتي كتراث ثقافي فقط، بل كسلطة قائمة تنتج نفسها من خلال التحالف بين الخطاب الجماعي والهيمنة الذكورية. وعبر تحليل العلاقة بين الأفراد والجماعة، والصراعات القائمة بين التقاليد والطموحات الفردية، يكشف النص عن الطبيعة الأيديولوجية للنسق القبلي. وسوف نقوم في هذا الفرع بتفكيك كيفية بناء هذه السلطة، ودراسة علاقتها باللغة، والرموز، ومساير الشخصيات، خصوصاً في تمثيل الذكور بوصفهم حماة "الشرف"، والنساء بوصفهن حاملاته أو منتهكاته.

أولاً/القبيلة كسلطة رمزية تُعيد إنتاج الذكورة:

تعمل القبيلة في الرواية كسلطة رمزية تُعيد ترسيخ الذكورة بوصفها معياراً للشرعية والهيمنة. فالرجل يُمثل فيها السلطة، الحماية، والعقاب، في حين تُختزل المرأة ضمن موقعها التابع والمرتهن لقرارات الجماعة. ويتجلى ذلك في تمجيد النسب، واحتكار الرجال لامتلاك القرار الجماعي، مقابل تهميش النساء في السرد، والمجال العام. إن القبيلة لا تُقدّم كمجرد وحدة اجتماعية، بل كنظام قيم يعيد تنظيم العلاقات الأفقية والعمودية داخل المجتمع على أسس ذكورية صارمة.²³

ثانياً/ اللغة والرموز القبليّة كأدوات القمع:

تلعب اللغة دوراً محورياً في ترسيخ النسق القبلي، حيث تُوظف الأمثال الشعبية، والمقولات الدينية أو التراثية، لتبرير الإقصاء والتسلط. فالأب أو الزعيم لا يحتاج إلى عنف مباشر لإخضاع الأفراد، بل يكفيه أن ينطق باسم "القبيلة" أو "الشرف"، ليفرض سلطته باسم

22 ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة، مرجع سبق ذكره، 48.

23 بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، مرجع سبق ذكره، ص 21.

الجماعة. كما تُستخدم رموز مثل "الدم"، و"العار"، و"الرجولة"، كوسائط ثقافية لتحويل العنف إلى ممارسة مقبولة بل وضرورية داخل هذا النسق²⁴.

المطلب الثاني: رواية "النهر المتحول" وتمثيل النسق الديني والتحول الاجتماعي. في رواية "النهر المتحول" يستكشف رشيد ميموني تمثيل الهوية الدينية وعلاقتها بالتغيرات الاجتماعية والسياسية في الجزائر خلال فترات حرجة من تاريخها. حيث تتبع القصة اشتباك المقدس بالواقع اليومي، وتوسع الخطاب الديني في الحياة العامة، مع ما يحمله ذلك من رموز وقيم وأوامر وحظرات تعيد تشكيل علاقات الأشخاص. وما يميز الرواية ليس فقط تمثيل الدين كهوية، بل رصد لحظة التحول: لحظة انكسار النموذج الموحد، وظهور أسئلة الحداثة والهوية والسلطة الرمزية.

الفرع الأول: تمثيل الخطاب الديني في الرواية بين القداسة والتسييس. يظهر الخطاب الديني في رواية "النهر المتحول" باعتباره أحد الأنساق الثقافية الأكثر فاعلية في تشكيل الوعي الجمعي. ومع ذلك، فإن ميموني لا يعرض هذا الخطاب باعتباره كياناً دينياً خالصاً أو منعزلاً عن التحولات السياسية، ولكنه يرصد كيفية استثمار الدين في المجال العام واستخدامه أيديولوجياً لخدمة مصالح معينة. وبين التبجيل والمساءلة، يضع الكاتب القارئ أمام خطاب ديني مزدوج: خطاب يعلن قدسيته من جهة، ولكنه يمارس سلطة اجتماعية وقمعية من جهة أخرى. وفي هذا الفرع.

أولاً/ الدين كمرجعية مقدسة في الوعي الجماعي:

في بداية الرواية، يُقدم الدين كعنصر محوري في بناء الهوية والانتماء، حيث تظهر الشخصيات ارتباطاً طقوسياً وشعورياً بالمقدس، سواء من خلال الصلاة، أو الخطاب الأخلاقي، أو استحضار الرموز الدينية في الحياة اليومية. يمثل الدين هنا بُعداً روحانياً جامعاً، يحضر في النص كقوة رمزية توجه السلوك وتبني المنظومة القيمية، في انسجام مع الصورة

المثالية للإيمان. هذا البُعد يعكس تديناً وجدانياً يُستبطن دون فرض خارجي، ويُشكل جزءاً من الهوية العميقة للشخصيات.²⁵

ثانياً/ توظيف الدين كأداة للهيمنة والرقابة الاجتماعية:

مع تطور الأحداث، يكشف السرد كيف يتحول الدين من إيمان فردي إلى خطاب سلطوي، توظفه مؤسسات أو جماعات لتبرير القمع أو فرض نمط اجتماعي أحادي. تظهر شخصيات دينية في الرواية وهي تتحدث باسم "الحق المطلق"، وتوزع الأحكام وتقصي المختلف، مما يفضح البنية الإيديولوجية للخطاب الديني المسيس. هكذا يتحول الدين إلى وسيلة رقابة، تتدخل في تفاصيل الحياة، من اللباس إلى الفكر، وتنتج طقوس الطاعة أكثر مما تنتج الوعي.²⁶

الفرع الثاني: تحولات الشخصية الروائية وتفكك الهوية الفردية.

ترتبط تحولات الشخصية في الرواية ارتباطاً وثيقاً بالتحولات الاجتماعية والدينية التي يعرضها النص. فالشخصية ليست مجرد عنصر بنائي، بل كائن متورط في صراعات داخلية وخارجية تعكس تذبذب الهوية وارتباك المعايير. وتُرصَد في الرواية شخصيات تتأرجح بين الانتماء إلى المرجعية الدينية التقليدية والرغبة في التحرر منها، وهو ما يُولّد خطاباً داخلياً مأزوماً يكشف أثر النظام في تشكيل الذات. وسنقف في هذا الفرع عند أبرز الشخصيات، محلّلين خطابها، أفعالها، وسلوكها كمرآة للتحولات القيمية التي تصيب المجتمع.

أولاً/ التناقض الداخلي بين المرجعية الدينية والذات الشخصية:

تُمثّل الشخصيات الروائية في "النهر المتحول" صراعاً داخلياً عميقاً بين ما ورثوه من قيم دينية محافظة، وبين ما يواجهونه من تغيرات اجتماعية حديثة. فتقدّم الأشخاص في وضع مأزوم، يتحدثون بلسانين: لسان الطاعة للموروث، ولسان الرغبة في التحرر. وتبدو هذه التناقضية واضحة في لغة الأشخاص، وفي حيرتهم بين الفعل والخنوع، بين الصمت والبوح، ما يخلق صورة مركبة للهوية الدينية ليست مطلقة، بل متذبذبة بين الثبات والانحياز.²⁷

25 رواية النهر المتحول، دار النشر روبر لافون باريس فرنسا 1982 ، ص24

26 رواية النهر المتحول ، ص 25

27 محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية - التشكيل ومساءل التأويل - معالم نقدية - منشورات

الإختلاف، دار الأمان دار العلوم ناشرون، ط1، 2012، ص: 73.

ثانيًا/ الهوية الممزقة كعرض اجتماعي – نفسي للتحول الثقافي:

يتحول التوتر الداخلي لدى الأشخاص إلى أزمة هوية شاملة، حيث لا تعود الذات قادرة على تعريف أنفسها خارج ما يفرضه النظام الجماعي. الأشخاص يعانون اغترابًا واضحًا عن ذواتهم، كما لو أنهم يسكنون مساحات مفروضة لا يختارونها. وهذا التفكك يتجلى في السلوك، في انهيار العلاقات، وفي فقدان القدرة على الفعل الحر. فالأشخاص يُبنون في الرواية بوصفهم كائنات خاضعة لأنظمة ثقافية متغيرة تفقدتهم التماسك وتدفعهم إلى الانفجار أو الانسحاب²⁸.

الفرع الثالث: جدلية الفرد والمجتمع في ظل الهيمنة الرمزية.

في "النهر المتحول"، لا يُصوّر المجتمع ككيان متماسك، بل كنسيج من التوترات التي تحكمها صراعات بين التقليد والحداثة، بين السلطة والمقاومة، وبين النسق الفردي والجماعي. ويُعاد إنتاج هذه الجدلية من خلال العلاقة بين الفرد ومجتمعه، حيث يتحول الدين من مصدر للطمأنينة إلى أداة للرقابة. هنا، يظهر النسق بوصفه قوة رمزية تُخضع الأفراد وتشكل خياراتهم وسلوكهم ضمن حدود ثقافية صلبة. وسنناقش في هذا الفرع كيف عالجت الرواية هذا التوتر من خلال تصوير الصراع النفسي والاجتماعي، مظهرًا كيف تتشكل المسافة بين ما يُنتظر من الفرد، وما يعيشه فعلاً من اختناق وجودي في ظل النسق الديني المهيمن.

أولاً/ المجتمع كسلطة رمزية تعيد إنتاج الطاعة:

في الرواية، لا يتم تقديم المجتمع بأنه محايد، بل كسلطة رمزية تمارس هيمنتها من خلال ما يبدو طبيعياً أو مقدساً. إن النظام الاجتماعي يتدخل في بناء الهوية الفردية ليس من خلال القمع المباشر، ولكن من خلال القبول الرمزي للمعايير الدينية والاجتماعية. هكذا، يتم إجبار الأفراد على تقييد أدوار لا يختارونها: الشاب المتدين، الفتاة الطاهرة، المواطن المطيع... وهي

أدوار تفرضها الجماعة من خلال التقاليد والرقابة الجماعية لا القانون فحسب، ما يجعل المجتمع قوة تأطيرية خفية تسجن الأفراد في قوالب جاهزة.²⁹

ثانيًا/ الفرد بين الانتماء القسري والمقاومة الصامتة:

يصور ميموني الفرد وهو يحاول - غالبًا دون نجاح - التمرد على هذه الهيمنة. بعض الشخصيات تبدي رفضًا خجولًا أو مشوشًا، في لغة مشوهة، أو سلوك منحرف، أو انسحاب من المجال العام. بينما شخصيات أخرى تنكسر تمامًا تحت ضغط الجماعة، وتعيد استبطان الهيمنة لتصبح جزءًا من خطابها الذاتي. هذا التوتر بين الرغبة في التحرر والخوف من النبذ، بين الانتماء القسري والحنين إلى الذات الحرة، هو ما يمنح الشخصيات في الرواية عمقها النفسي ويكشف عن هشاشة موقع الفرد داخل النظام الرمزي المهيمن.³⁰

المطلب الثالث: رواية "طومبيزا" وتمثيل نسق العنف والقمع السياسي تمثيلات الاستبداد والتسلط.

تبرز رواية "طومبيزا" تجليات القمع السلطوي بأوضح صورها، حيث يضع رشيد ميموني القارئ أمام واقع استبدادي يتداخل فيه مؤسسات الدولة بالهيمنة الرمزية والقوة المادية. فالرواية لا تروي القهر كحدث منعزل، بل تقدمه كنظام ثقافي متجذر، يستمد شرعيته من الأيديولوجيا والبيروقراطية وحتى الخطاب الإعلامي. وتبرز الرواية كيف يتم تبرير التسلط وتجريمه في الوقت ذاته ضمن لعبة مزدوجة من الخضوع والمقاومة. وفي هذا الجزء سنفكك آليات تمثيل السلطة القمعية في الرواية، من خلال تحليل مشاهد القهر وصور الاضطهاد وبنية الخطاب الرسمي، لنكشف كيف يتحول الأدب إلى فعل مقاومة ثقافية يعري البنى الاستبدادية في أنساقها الرمزية والمباشرة.

29 عبد القادر بن سالم بنية الحكاية في النص المغربي الجديد، منشورات الاختلاف منشورات

الضفاف دار الأمان، ط 1، 2012، ص 125

30 سعاد عبد الله العنزي صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص: 17.

الفرع الأول: تمثيل السلطة المؤسساتية وآليات السيطرة اليومية

في "طومبيزا"، لا تظهر السلطة بوصفها جهازًا قمعيًا تقليديًا فحسب، بل تتجلى أيضًا في تفاصيل الحياة اليومية: في الإدارات، في القوانين، في الرموز، وحتى في البيروقراطية. ينجح ميموني في رسم ملامح "الدولة المتغلغلة"، التي لا تحتاج دائمًا إلى العنف المادي المباشر، بل تفرض حضورها من خلال الروتين، والتكرار، والتعويد مع القهر. وفي هذا القسم، سنتناول كيف يجسّد النص هذا النمط السلطوي عبر فضاءات مثل السجن، الإدارة، أجهزة الأمن، ووسائل الإعلام، كأدوات يُعاد من خلالها إنتاج الخضوع ضمن مشهد يومي مألوف لكنه خائق. أولًا/ السلطة كقوة بيروقراطية تخنق الفرد:

تكشف الرواية كيف تتحول البيروقراطية من آلية تنظيمية إلى شبكة من الإجراءات العقيمة التي تنهك الشخص. فالطبيعة الروتينية للإدارة - الطواير والوثائق والأختام والمعاملات المتكررة - توضح المواطن ككائن منهك في مواجهة نظام غير عقلائي، حيث لا يسعى هذا النظام لتلبية حاجاته، بل لكسر إرادته من خلال الجمود والإهمال. ف"القهر اليومي الصامت" يحل محل العنف الواضح، ويصبح جزءًا من الحياة العادية.³¹

ثانيًا/ السجن وأجهزة الأمن كرموز للمرآة والعقاب:

يتخذ السجن في "طومبيزا" بعدًا يتجاوز كونه مؤسسة جزائية، حيث يتحول إلى استعارة للدولة كلها: فضاء مغلق تمارس فيه السلطة بأبشع أشكالها، حيث تحاصر الشخصيات نفسيًا وجسديًا، وتجردهم من إنسانيتهم بذريعة القانون أو النظام. كذلك تبرز الرواية دور أجهزة الأمن التي تتحرك في الخفاء والعلن، تراقب وتعتقل وترهب، حتى قبل أن يرتكب الشخص أي فعل. إنها سلطة وقائية تقمع احتمال التفكير، لا الفعل فحسب.³²

الفرع الثاني: الجسد بوصفه هدفًا ومجالًا للعقاب.

يتحول الجسد في "طومبيزا" إلى ساحة مواجهة مفتوحة بين النظام السياسي والمواطن، حيث يُعرّض للعقاب، التهميش، المراقبة، والإذلال. فالقمع هنا ليس مجرد فكرة أو خطاب، بل فعل

31 ميموني، رشيد. طومبيزا. ترجمة روز مخلوف. بيروت: دار الآداب، 1993.

32 ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقب، مرجع سبق ذكره، ص 42.

محسوس يُمارَس على الأجساد العارية والضعيفة. وهذا التصوير لا يكتفي بإظهار العنف كفعل جسدي، بل يكشف كيف يتحول الجسد إلى رمزية ثقافية تُجسّد هشاشة الفرد أمام السلطة المطلقة. وسُكِّز في هذا القسم على صور التعذيب، السجن، الإذلال الجسدي، والأمراض كوسائل سردية تُبرز تداخل البنية السياسية بالجسد الإنساني، بما يكشف أثر العنف الرمزي والمادي على الوجود الإنساني ذاته.

أولاً/ الجسد كمساحة مادية للقمع السياسي:

في رواية "تومبيزا"، يتبلور الجسد البشري كأحد أكثر الميادين بروزاً لعملية السلطة. لم يعد العنف السياسي مقتصرًا على القوانين والقرارات، لكن تم إنزاله إلى الجسد، حيث يصبح التعذيب، والحرمان، والتشويه، أدوات ملموسة لتأديب المواطن وكسر إرادته. وهكذا يغدو الجسد نفسه استعماراً سياسياً، خاضعاً لسلطة تستهدفه بدقة مفرطة.³³

ثانياً/ استكشاف الإذلال وتحول الجسد إلى رمز هشاشة:

لا يقتصر النص على تمثيل الجسد كهدف للعنف، بل يذهب أبعد من ذلك حين يصوره كرمز للهشاشة الوجودية والاعتراّب. الشخصيات في الرواية تتألم، تمرض، تُهان، ويُجرد جسدها من كرامته، مما يعكس كيف يتحول الجسد إلى مرآة تجسد تعسف السلطة وجبروتها. فالألم الجسدي يصبح لغة مقاومة صامتة تكشف قسوة النظام.³⁴

الفرع الثالث: تفكيك الخطاب الرسمي ومواجهة اللغة السلطوية

في مواجهة خطاب السلطة، الذي يتموضع غالباً بوصفه خطاباً شرعياً ومؤسسياً، تتناول رواية "طومبيزا" تفكيك هذا الخطاب واكتشاف تناقضاته. فاللغة الرسمية في الرواية لا تأتي بصفتها أداة تواصل فقط، بل كوسيلة قمع وتزييف للواقع. وهنا تبرز مهارة ميموني في فضح هذه اللغة، من خلال السخرية، التهكم، التضخيم أو كسر التوقعات. وسنحلل في هذا القسم كيف تتحول اللغة إلى ساحة صراع رمزي، بين سلطة تحاول احتكار المعنى، وكاتب يسعى إلى

33 فانسون جوف، "الهوية والتشظي في رواية طومبيزا لرشيد ميموني"، مجلة ألف، العدد 4،

2014، ص. 92-93.

34 فانسون جوف، "الهوية والتشظي في رواية طومبيزا لرشيد ميموني مرجع سبق ذكره، ص 95

تحرير اللغة من سلطتها، مما يجعل الرواية نفسها ممارسة مقاومة تعيد الاعتبار للقول الحر في مواجهة الإملاء السلطوي.

أولاً/ اللغة الرسمية كأداة قمع وتزييف للواقع:

تُظهر الرواية كيف يُستخدم الخطاب الرسمي للتمويه، وتبرير العنف، وإخفاء التناقضات الاجتماعية. فبدلاً من أن تكون اللغة أداة تواصل شفاف، تصبح وسيلة لخداع المواطن وفرض رؤية منفردة للواقع. وهكذا تُصبح البيانات الرسمية، والشعارات، والمصطلحات الجافة، واجهة تخفي المأساة الحقيقية.³⁵

ثانياً/ توظيف التهكم والتناص كآليات مقاومة:

يُمارس ميموني مقاومة لغوية واعية من خلال تفكيك هذا الخطاب السلطوي، مستخدماً التهكم والسخرية والتضخيم كوسائل لهدم قداسة اللغة الرسمية. فالكاتب لا يواجه القمع بالسلاح، بل باللغة، حيث يُفكك كل جملة سلطوية، ويعيد تشكيل المعنى خارج مدار السلطة، مما يُحدث خلخلة داخل البنية اللغوية ذاتها.³⁶

الخاتمة:

أكدت هذه الدراسة أن روايات رشيد ميموني تتجاوز حدود الحكى لتصبح نصوصاً نقدية بامتياز، وظفت السرد كأداة منهجية لتفكيك الأنساق الثقافية المضمرة التي تكرر الهيمنة والسلطة في المجتمع الجزائري. لقد كشف التحليل عن آليات استثمار "الشرف" في شرف القبيلة لترسيخ السلطة الذكورية، ومثل تسييس الدين في النهر المتحول كنسق يمزق الهوية، وعرى القمع السياسي المؤسسي في طومبيرا بوصفه نظاماً ثقافياً متغلغلاً. في المحصلة، يُعدّ ميموني روائياً يمارس المقاومة السردية الواعية، حيث يحول النص الأدبي إلى "فعل اجتماعي رمزي" يهدف إلى تحرير الوعي وكشف التفاوت والظلم المستتر تحت غطاء الثقافة السائدة. وبهذا، تظل أعمال ميموني دعوة مستمرة إلى اليقظة النقدية تجاه سلطة النسق.

35 روبرير إلباز، مرجع سبق ذكره ، ص 212 .

36 رشيد ميموني، مرجع سابق ، ص 35 .

قائمة المراجع

1. باختين، ميخائيل. (1987). المشكلات الجمالية في الرواية (يوسف حلاق، ترجمة). دار الفارابي.
2. بازي، محمد. (2012). العنوان في الثقافة العربية - التشكيل ومسائل التأويل - معالم نقدية (ط. 1). منشورات الاختلاف؛ دار الأمان؛ دار العلوم ناشرون.
3. بن سالم، عبد القادر. (2012). بنية الحكاية في النص المغربي الجديد (ط. 1). منشورات الاختلاف؛ منشورات الضفاف؛ دار الأمان.
4. بورديو، بيير. (د.ت). الهيمنة الذكورية.
5. تري إيجلتون. (1996). النظرية الأدبية: مقدمة (سعيد قادرياي، ترجمة). المركز الثقافي العربي.
6. تري إيجلتون. (2000). الأدب والنظرية (سوزان يزيكي، ترجمة). المركز الثقافي العربي.
7. "ترحات النسق ولبوساته: اللغوية، الأدبية، الثقافية." (2018). مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، 10(2)، 82-94.
8. جوف، فانسون. (2014). الهوية والتشظي في رواية طومبيزا لرشيد ميموني. مجلة ألف، 4، 92-93.
9. جيمسون، فريدريك. (1999). اللاوعي السياسي: السرد بوصفه فعلاً اجتماعياً رمزياً (محمد عصفور، ترجمة). المجلس الأعلى للثقافة.
10. دريدا، جاك. (1992). في علم الكتابة (Of Grammatology) (فاطمة سحمر، ترجمة). دار المشرق العربي.
11. رابوبورت، نورا. (2005). أنثروبولوجيا السلطة والجندر في المجتمعات التقليدية. دار الفكر المعاصر.
12. رشيد ميموني. (1982). رواية النهر المحول. روبر لافون باريس فرنسا.
13. روبر إلباز. (2003). طومبيزا أو السرد المستحيل عند رشيد ميموني. المجلة الدولية للدراسات الفرائكفونية، 6(3)، 197- [الصفحة الأخيرة غير محددة].
14. سعاد عبد الله العتري. (د.ت). صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة.
15. عبد الله الغدامي. (1996). المرأة واللغة. المركز الثقافي العربي.
16. عبد الله الغدامي. (2000). النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. المركز الثقافي العربي.
17. فوكو، ميشيل. (1986). نظام الخطاب (محمد بنيس، ترجمة). دار توبقال للنشر.
18. فوكو، ميشيل. (1990). تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي (سعيد بنكراد، ترجمة). المركز الثقافي العربي.

19. فوكو، ميشيل. (1994). المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن (حسن قببسي، ترجمة). دار المدى.
20. محمد الهادي المطوي. (د.ت). شعرية عنوان كتاب الساق على الساق.
21. مفتاح، محمد. (2011). المشروع النقدي (ط. 1؛ جمال بن دحمان، تنسيق). منشورات الاختلاف؛ دار العربية للعلوم ناشرون.
22. ميموني، رشيد. (1990). شرف القبيلة (روز مخلوف، ترجمة). دار الآداب.
23. ميموني، رشيد. (1993). طومبيزا (روز مخلوف، ترجمة). دار الآداب.
24. ويليامز، ريموند. (1988). الكلمات المفتاحية: مفردات الثقافة والمجتمع (بدر الدين قداس، ترجمة). دار الطليعة.
25. ويليامز، ريموند. (1990). الثقافة والمجتمع 1780-1950 (سامي الزين، ترجمة). دار الطليعة.

